

المنهج الاشاري عند السيد السبزواري

م. د. هدى تكليف مجيد السلامي

كلية الشيخ الطوسي الجامعة

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الخلق أجمعين محمد وعلى آله
الطيبين الطاهرين . وبعد ..

أن علم التفسير أول العلوم القرآنية نشأة ، فقد صاحبت نشأته نزول القرآن الكريم
وواكبت الوحي ، فكان الصحابة يسألون النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) عن
كل ما غمض عليهم من المنزل ، وكان (صلى الله عليه وآله وسلم) يبين لهم ما
يحتاجون إليه من معانيه وأحكامه .

فكان الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) هو المبين الأول للقرآن ، والمرجع الأساس
لفهم القرآن ومن بعده جاء الأئمة الاطهار (عليهم السلام) والصحابة الكرام مفسرين
ومبينين للناس ما أبهم عليهم ولكن لم يصل إلينا تفسير كامل للقرآن الكريم
مرويا عن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) او عن الأئمة (عليهم السلام) انما هي
عبارة عن شذرات من تفسير بعض الآيات القرآنية الكريمة وتبعهم بعد ذلك العلماء
والمفسرون اذ حفلت المكتبات الاسلامية بالكثير من كتب التفسير لكتاب الله
على مرّ العصور، ولا زال أرضا خصبة تغري الدارسين فتأخذ بتلابيبهم، وما برح
يتجدد في عطائه، تجدد الليل والنهار، ومع كثرة التفاسير والدراسات للقرآن
الكريم يظل بحرا متلاطم الموج، وفضاء رحبا لا يمكن الإحاطة به إلا لمن أراد الله

به خيرا، ويبقى للعلماء نصيبهم الأوفر، حيث دورهم الكبير في تناول النص القرآني درسا وتفسيرا، وكشف معانيه ودلالاته.

عليه سندرس في هذا البحث مناهج البحث عن السيد السبزواري وتحديد المنهج الاشاري لأنه من أبرز ما طغى على تفسيره مواهب الرحمن . هذا بالإضافة الى المناهج الرئيسية الاخرى التي ظهرت على تفسير مواهب الرحمن ومنها على سبيل المثال لا الحصر التفسير القرآني والتفسير الروائي يسبقها نبذة عن حياة السيد السبزواري .
التمهيد : نبذة عن حياة السيد السبزواري

أسمه ونسبه:

هو السيد عبد الأعلى بن علي رضا بن عبد العلي بن محمد الحائري بن إبراهيم المجاب بن محمد العابد، ويرجع نسبه إلى الإمام موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب^١ (عليهم السلام).

ولقب بالسبزواري نسبة الى سبزوار المدينة العريقة بالولاء والتشيع، وكانت في القديم (قاعدة بيهق)، (وبيهق موقع كان بقرب سبزوار، وهي ناحية معروفة بخراسان بين نيسابور وبلاد فارس، وقاعدتها بلدة سبزوار وهي من بلاد الشيعة الامامية قديما وحديثا، واهلها في التشيع اشهر من اهل خاف وباخرز في التسنن)^٢ و (هي اليوم في الشمال الشرقي من ايران في ولاية خراسان وتقع الى الغرب من نيسابور)^٣.

ولادته ونشأته:

وُلد السبزواري في الثامن عشر من شهر ذي الحجة الحرام، عام ١٣٢٨ هـ - ١٩١٠ م^٤. وكان ميلاده في مدينة (سبزوار)، وهي مدينة في الشمال من إيران، في ولاية (خراسان)، وقد نسب إليها، وهي مدينة عريقة في التاريخ، وهي عامرة بأهل العلم

ورواد الفضيلة في كل عصر وجيل، إذ خرّج منها الكثير من فطاحل الفقهاء والفلاسفة والمتكلمين^٥.

وقد نشأ السبزواري في كنف أبيه، وتحت رعايته، فتعلّم القراءة والكتابة في سنّ مبكر، ثم درس الأوليات في النحو والصرف والمنطق، وبعض المتون الفقهية، فقد نشأ نشأة صالحة، وأنبتته الله نباتاً حسناً في ذلك الجو العابق بأشذاء رياض التقوى، المضمخ بعبير النفحات القدسية، والفيض الرباني الذي كان يغشى تلك العراض الطاهرة. فشبّ ذلك الطفل المبارك تحت رعاية أب جليل القدر مشهود له بالفضل والورع والعلم والشرف الأصيل هو الفقيه السيد علي رضا الموسوي السبزواري، ومن الطبيعي أن تنعكس شخصية الوالد على ولده^٦.

فالسبزواري من شجرة علمية ومن بيت علمي، فهم متأصلون بالعلم وقد خدموا الإسلام واللغة العربية - لغة القرآن الكريم، وكونه من بيت علم معروف ومتميّز في مدينة (سبزوار) يعني أنّ بيئته البيئية التي نشأ فيها منذ الصغر لم تكن بعيدة عن دراساته.

مؤلفاته:

الحديث عن مؤلفات السبزواري ومصنفاته حديث عن فكر ثاقب، وعبقريّة نادرة، وعلميّة واسعة. فالأفق الواسع، والفكر الشمولي الموسوعي، اللذان كان يتمتع بهما السبزواري انعكسا على سلسلة مؤلفاته المتعددة والمتنوعة. وكانت على النحو الآتي^(٧):

أولاً: مؤلفاته في الفقه والاصول ومنها: مذهب الأحكام في بيان الحلال والحرام، تعليقه على (جواهر الكلام في شرح شرائع الإسلام)، للشيخ: محمد حسن الجواهري، تعليقه على (الحقائق الناضرة في أحكام العترة الطاهرة) للفقيه الشيخ

يوسف البحراني، تعليقه على (مسند الشيعة)، للشيخ أحمد النراقي أحكام العدد في الوطن المحرم، تهذيب الاصول.

ثانيا: مؤلفاته في الحكمة والكلام ومنها: تعليقه على كتاب (الحكمة المتعالية)، المعروف بـ(الأسفار) لصدر المتألهين الشيرازي، إفاضة الباري في نقض ما كتبه الحكيم السبزواري، تعليقه على (الكتاب الدراسي المشهور (المنظومة)، للملا هادي السبزواري.

ثالثا: مؤلفاته في التفسير: مواهب الرحمن في تفسير القرآن، حاشية على (تفسير الصافي)، للفيض الكاشاني.

رابعا: مؤلفاته في الحديث والرجال ومنها: حاشية على (بحار الأنوار ١ - ١١٠)، للشيخ المجلسي، تعليقه على (الوافي)، للفيض الكاشاني، اختلاف الحديث. وفاته:

توفي السيد عبد الأعلى السبزواري في صبيحة يوم الأحد لست وعشرين خلون من شهر صفر عام ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م فاضت روح السيد (رحمه الله) الى بارئها. وهو في مسجده على أثر إصابته بمرض عضال أثر فيه تأثيرا كبيرا^(٨)، فنقل إلى الحرم العلوي، وصلى عليه سماعة آية الله علي البهشتي ودفن في المقبرة المعدة له في شارع الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) بجوار مسجده ومصلاه عصر يوم الاثنين^(٩).

وكان لخبر وفاته صدى كبير بين الاوساط العلمية خاصة وفي المجتمع الاسلامي عامة، إذ أقيمت مجالس العزاء في مختلف الاقطار الاسلامية، وراثه جمع من الشعراء في قصائد مؤثرة^{١٠}.

المبحث الاول : المناهج التفسيرية عند السيد السبزواري

هناك عدة مناهج برزت عند السيد السبزواري في تفسيره مواهب الرحمن منها تفسير القرآن بالقرآن والتفسير الروائي والتفسير اللغوي والاشاري وغير ذلك عليه سوف نطرح في هذا المبحث المنهج القرآني - تفسير القرآن بالقرآن - والمنهج الروائي لعدم سعة البحث وفي المبحث اللاحق سوف يتناول البحث المنهج الاشاري بالتفصيل .

أولاً : منهج تفسير القرآن بالقرآن

عد العلماء تفسير القرآن بالقرآن من أحسن طرق التفسير (فما أجمل في مكان قد فسر في موضع آخر وما أختصر في مكان قد بسط في موضع آخر)^{١١}.

إذ إن (دلالة القرآن تمتاز بالدقة والاحاطة والشمول)^{١٢} والمتأمل (والناظر في القرآن الكريم يجده قد اشتمل على العموم والخصوص والإطلاق والتقيد والإجمال والتبيين والإيجاز والإطناب)^{١٣}.

والى وضوح القرآن في دلالاته على معانيه أشار ابن خلدون في مقدمته قائلاً: (إن القرآن نزل بلغة العرب وعلى أساليب بلاغتهم فكانوا كلهم يفهمونه ويعلمون معانيه في مفرداته وتراكيبه)^{١٤}.

وقد رد الذهبي على ابن خلدون رأيه هذا، بأن الصحابة قد اختلفوا في فهمهم لبعض آيات القرآن الكريم^{١٥}.

ويبدو ان الاختلاف في فهم الصحابة لبعض الآيات القرآنية الكريمة ليس في المعنى العام لها، وإنما الاختلاف يكون في التفصيل في معاني الآيات الكريمة، إذ كل يفسرها بحسب ما يعي ويفهم وبحسب درجة ثقافته في التفسير، فهم متفاوتون فيما بينهم في القدرة العقلية لفهم النص القرآني ويرى الباحث إن رد الذهبي على ابن خلدون صحيح جداً.

ومما لا شك فيه ان تفسير القرآن بالقرآن قد (اعتمده كثير من السلف الصالح وسار عليه المتشرعة حتى زمننا الحاضر).^{١٦}

وكان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أول من فسر القرآن بالقرآن- إذ كان يستعين ببعض من آيات القرآن الكريم ليفسر ويشرح بها بعضاً آخر فمن ذلك تفسيره (صلى الله عليه وآله وسلم) للظلم بالشرك^{١٧} في قوله تعالى: (الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون) (الأنعام/ ٨٢) واستدل على ذلك بقوله تعالى: (وإذ قال لقمان لابنه وهو يعظه يا بني لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم) (لقمان/ ١٣).

وظهر لنا مما تقدم أن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) يرد الآية على الآية عند تفسيره لها ويجعلها قرينة على المعنى المراد منها، وبهذا يعد الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) واضع اساس هذا النوع من المنهج ليقتيدي به الآخرون من بعده من أئمة أهل البيت (عليهم السلام) والصحابة ومن بعدهم، وهذا المنهج القرآني لا يستطيع أن يستغني عنه أي مفسر، فقد قال الذهبي في هذا الخصوص: (هذا هو القرآن بالقرآن يرجع إليه الصحابة في تعرف بعض معاني القرآن، وهذا ليس عملاً ألياً لا يقوم على شيء من النظر، وإنما عمل يقوم على كثير من التدبر والتعقل)^{١٨}.

وقد أفاد المفسرون قديماً وحديثاً^{١٩} من طريقة تفسير القرآن بالقرآن الكريم ومنهم السيد السبزواري فهو حين يفسر الآيات الكريمة بعضها ببعض يكون ذلك من قبيل القرائن المنفصلة التي تساعد على فهم النص القرآني، فضلاً عن السياق القرآني الذي له الأثر الكبير في الوقوف على معاني الآيات الكريمة والكشف عن المراد منها، وكذلك بيان المناسبة بين الآيات الكريمة والتي بها تتحقق وحدة السياق.

سوف نورد جملة من الشواهد القرآنية التي يثبت من خلالها انتهاج السيد السبزواري لهذا النوع من المنهج التفسيري في مواهبه واعتماده مبدأ السياق القرآني، وتطرقه لوجوه المناسبة بين الآيات القرآنية، إذ نراه يوجز مرة ويطيل أخرى في توضيحه لمعنى المفردة أو الآية القرآنية الكريمة، سالكا في ذلك طرقا متعددة وما سيذكر كأمثلة لا على سبيل الحصر، كما إنا سنجد أحيانا تشابها بين رأي السيد السبزواري وبعض الآراء عند غيره من المفسرين، ولعل هذا من المفاهيم العامة التي يذهب اليها اكثر المفسرين ويتعامل معها العلماء ويعبرون عنها بالفاظ متقاربة قد يعدها البعض اتكاء على السابق، وقد يعدها بعضهم من المشاعات في الكلام.

ومن الامثلة في معنى المفردة القرآنية ففي قوله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمى فاكتبوه وليكتب بينكم كاتب بالعدل ولا يأب كاتب أن يكتب كما علمه الله فليكتب وليملل الذي عليه الحق وليتق الله ربه ولا يبخس منه شيئا فإن كان الذي عليه الحق سفيها أو ضعيفا أو لا يستطيع أن يمل هو فليملل وليه بالعدل واستشهدوا شهيدين من رجالكم فإن لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء أن تضل إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى ولا يأب الشهداء إذا ما دعوا ولا تسأموا أن تكتبوه صغيرا أو كبيرا إلى أجله ذلكم أقسط عند الله وأقوم للشهادة وأدنى ألا ترتابوا إلا أن تكون تجارة حاضرة تديرونها بينكم فليس عليكم جناح ألا تكتبوها وأشهدوا إذا تبايعتم ولا يضار كاتب ولا شهيد وإن تفعلوا فإنه فسوق بكم واتقوا الله ويعلمكم الله والله بكل شيء عليم) (البقرة/ ٢٨٢) يرى السيد السبزواري أن المعنى (السام: الملالة) ٢٠ واستدل بقوله تعالى: (لا يسأم الإنسان من دعاء الخير وإن مسه الشر فيئوس قنوط) (فصلت/ ٤٩) وذكر لنا السيد السبزواري بان الآيتين (٢٨٢، ٢٨٣) من سورة البقرة فيها (ما يقرب

من عشرين حكماً تتعلق بأصول المعاملات والمعاوضات كالبائع والدين والرهن ونحوها) ٢١ وهذا أيضاً ما ذكره الطباطبائي في تفسيره الميزان ٢٢. كما ذكر لنا رواية من تفسير القمي عن الآية (٢٨٢) من سورة البقرة ولم يعلق عليها أو يرفضها إذ قال: (بأنه روي في الخبر أن في هذه الآية خمسة عشر حكماً) ٢٣.

وفي معنى الآية القرآنية كما في قوله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله والكتاب الذي نزل على رسوله والكتاب الذي أنزل من قبل ومن يكفر بالله وملأئكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضلّ ضلالاً بعيداً) (النساء/ ١٣٦) قال السيد السبزواري في تفسيره عن معنى الآية الكريمة: (ومن يكفر بالله وملأئكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضلّ ضلالاً بعيداً) (النساء/ ١٣٦)، (هي شرح لما ورد في صدر الآية الشريفة في تفصيل دقيق وبيان وافٍ بأن الإيمان وحدة متكاملة، وإن الكفر بواحدة منها يوجب الكفر بالجميع بعد الدعوة إلى الإيمان بالجميع، وإرشاد بأن التفصيل الذي ورد في صدر الآية يتضمن أجزاء أخرى مترابطة وإن لم تذكر الآية الكريمة، فليست هذه الآية الشريفة شيئاً آخر مغايراً لما ورد في صدرها، فإن قوله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله والكتاب الذي نزل على رسوله والكتاب الذي أنزل من قبل ومن يكفر بالله وملأئكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضلّ ضلالاً بعيداً) (النساء/ ١٣٦) يتضمن جميع ما ورد في آية المقام ٢٤.

وفي تفسير للسيد السبزواري للمفردة القرآنية من خلال بذكر استعمالاتها بهيئاتها المختلفة في القرآن الكريم مستشهداً لذلك بالآيات القرآنية الكريمة كما في كلمة (القرب) في قوله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون ولا جنباً إلا عابري سبيل حتى تغتسلوا وإن كنتم مرضى أو

على سفرٍ أو جاء أحدٌ منكم من الغائطِ أو لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم وأيديكم إن الله كان عفوا غفورا (النساء/ ٤٣) قال السيد السبزواري: إن (القرب هو الدنو من الشيء مقابل البعد فهما يستعملان في الزمان والمكان وفي النسبة والقدرة وغيرهما) ٢٥، ثم أوضح لنا هذه الاستعمالات بشواهد قرآنية، قال تعالى: (اقترب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون) (الأنبياء/ ١)، وقال تعالى: (يسألك الناس عن الساعة قل إنما علمها عند الله وما يندريك لعل الساعة تكون قريبا) (الأحزاب/ ٦٣)، وقال تعالى: (يا أيها الذين آمنوا إنما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا وإن خفتهم عيلة فسوف يقنيكم الله من فضله إن شاء إن الله عليم حكيم) (التوبة/ ٢٨)، وقال تعالى: (وإذا حضر القسمة أولو القربى واليتامى والمساكين فازرقوهم منه وقولوا لهم قولوا مغزوا) (النساء/ ٨).

ثانيا : المنهج الروائي للتفسير

إن السنة هي المصدر الثاني بعد كتاب الله سبحانه وتعالى، إذ إن توضيح الاحكام مبني عليها ومستنبط منها، وإن الله سبحانه وتعالى شرف نبيه (صلى الله عليه وآله وسلم) حيث قال تعالى: (وما يتطرق عن الهوى (٣) إن هو إلا وحي يوحى (٤) علمه شديد القوى) (النجم/ ٣- ٥)، وقد قام الرسول الاكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) بأداء مهمته خير قيام حين بين ما أجمله القرآن تفصيليا.

فالسنة عندنا هي قول المعصوم (عليه السلام) أو فعله أو تقريره، وهي تشمل النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) والزهاء (عليها السلام) والأئمة الطاهرين (عليهم السلام) ٢٦.

وعند عدم وجود التفسير في القرآن الكريم أو السنة نرجع الى أقوال المعصومين إذ يعدون أقرب الناس الى الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) لأنهم تعلموا وتربوا على يده الشريفة أصول الدين الاسلامي وتعاليمه وأحكامه، وفهموا معاني القرآن الكريم وأهتدوا بهديه.

و (الحديث إما مقبول وهو الصحيح، وأما مردود وهو الضعيف، وهذا هو التقسيم الطبيعي الذي تندرج تحت نوعه أقسام كثيرة أخرى، تتفاوت صحة وضعفاً بتفاوت أحوال الرواة وأحوال متون الأحاديث)^{٢٧}.

وقد تسرب الخلل والضعف الى التفسير بالمأثور، وذلك لأسباب كثيرة، لذا وجب التحقق من الرواية قبل الأخذ بها، إذ قال الذهبي: أما تفسير القرآن بالقرآن أو بما ثبت من السنة الصحيحة، فذلك مما لا خلاف في قبوله، لأنه لا يتطرق إليه الضعف، وأما ما أضيف الى النبي (صلى الله عليه وسلم) وهو ضعيف في سنده أو متنه فذلك مردود غير مقبول ما دام لم تصح نسبته الى النبي (صلى الله عليه وسلم)^{٢٨}.

وأرجع الذهبي أسباب الضعف الى ما يأتي^{٢٩}:

١- كثرة الوضع في التفسير.

٢- دخول الاسرائيليات في التفسير بالمأثور.

٣- حذف الأسانيد.

والصحابة هم: (أناس لهم مقامهم في خدمة الإسلام وتعاليمه، ولكنه لا ينفي عنهم الخطأ أو السهو أو الغفلة)^{٣٠}، لذلك لا يمكن أن تعد أقوالهم من حيث كونهم رواية ومجتهدين حجة^{٣١}.

وقد استعان السيد السبزواري بأقوال الصحابة والتابعين في مواهبه عند تفسيره لبعض الآيات الكريمة، ولكن كان يخضع ما يأخذ عنهم للمناقشة والتحليل وإبداء الرأي فيه إن ساوره الشك، أو خطأ في صحة سند الرواية أو متنها^{٣٢}.

فمثلاً في قوله تعالى: (وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذَكَّرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَا أُولَٰئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ) (البقرة/ ١١٤)، ذكر السيد السبزواري حديثاً في سبب النزول إذ قال: (وفي المجتمع عن قتادة والسدي إنها نزلت في بختنصر واصحابه، غزوا اليهود وخرّبوا بيت المقدس، وأعانتههم على ذلك النصارى من أهل الروم)^{٣٣}.

وعقب السيد السبزواري على ذلك قائلاً: (على فرض صحة السند يكون متنه مخالفاً لما هو المعلوم في التأريخ من تأخر النصارى عن بختنصر بقرون عديدة، فلا يمكن الاعتماد على مثل هذا الحديث)^{٣٤}.

فالسيد السبزواري افترض إن السند صحيح ولم يشكك فيه، فتحول الى المتن وغالطه، معللاً ذلك بما ورد في التأريخ، وعدّ هذا الحديث لا ينفع في هذا المقام رغم أن الطبرسي اعتمده في بيان سبب نزول الآية الكريمة.

ومن هذا تظهر لنا منهجية خاصة عند السيد السبزواري إذ نراه لا يأخذ الأحاديث على علاقتها وإنما يحللها ويدقق في سندها ومتنها، معتمداً مرة على التأريخ، وأخرى على ظواهر القرآن، وثالثة على استنباطاته الفكرية، أو غيرها.

وفي موضع آخر يبين السيد السبزواري معنى مفردة قرآنية بدلالة حديث كما في قوله تعالى: (وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ) (البقرة/

٧٢) ففي معنى (درأ) قال السيد السبزواري: مادة (درأ) تأتي بمعنى الدفع ومنه قوله تعالى: (أُولَٰئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ وَمِمَّا

رَزَقْنَاهُمْ يَتْفَقُونَ) (القصص / ٥٤)، وتأتي بمعنى الجلب والملازمة، ومنه قول نبينا الاعظم (صلى الله عليه وآله وسلم): (رأس العقل بعد الايمان بالله مدراة الناس) ٣٥ وكذا قوله (صلى الله عليه وآله وسلم): (أمرت بمدارة الناس كما أمرت بأداء الفرائض) ٣٦، ويمكن أن يكون من الدرء بمعنى الدفع أي: يدفع الإنسان عن أخيه ظلما يوجب التفرقة بينهما ويحمله على الألفة والموافقة ٣٧.

كما ذكر لنا السيد السبزواري أن (دارأتم) أصلها (دارأتم) أي اختلفتم وتنازعتهم فأدغمت التاء في الدال لأنهما من مخرج واحد وزيدت ألف الوصول حذرا من الابتداء بالساكن ٣٨.

وفي موضع آخر بين معنى آية قرآنية كريمة من خلال رواية شريفة ففي قوله تعالى: (وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ) (البقرة / ١٢٧)، قال السيد السبزواري: (إن الآية الكريمة تدل على عدم إمكان اجتماع عهد الله تعالى مع الظلم، بل فيها اشارة الى غاية بعد الظلم عن الله تعالى، والظالم ليس بأهل لأن يقتدي به، فكيف يليق لأن يعهد إليه منصب امامة الناس و تعهد الرعية وإرشادهم الى الصلاح وكف الظلم عنهم) ٣٩، وبعد اكمال الشرح والتوضيح للآية الكريمة يستدل بأحاديث للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم): (لا طاعة الا بالمعروف)، (لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق) ٤٠.

وفي بيان وجوب في آية كريمة بدلالة حديث كما في قوله تعالى: (أَيُّهَا مَعْدُودَاتِ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَّرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ) (البقرة / ٨٤)، قال السيد السبزواري: (تدل الآية المباركة على أن السفر

موجب للأ وقد حددته السنة بحدود وشروط مذكورة في الفقه مفصلاً، واستدل بأحاديث عديدة منها، (ليس من البر الصيام في السفر).^{٤١}

وفي بيان معنى مفردة بدلالة ما ورد عن قتادة قال السيد السبزواري عن معنى العقود في قوله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود أحلت لكم بهيمة الأنعام إلا ما يتلى عليكم غير مجلي الصيد وأنتم حرم إن الله يحرّم ما يريد) (المائدة / ١).

ان (مادة (عقد) تدل على الربط والشد محكما بحيث يصعب انفصال أحد الأطراف عن الآخر، وتستعمل في الأمور المحسوسة كعقد الحبل وعقد البناء، وغير المحسوسة كعقود المعاملات من البيع والاجارة والصلح ونحوهما ومنها عقد النكاح، والوفاء بالعقد: هو الالتزام بلوازمه وعدم نقضه واطلاق الكلمة يشمل جميع العهود والمواثيق الخلقية والخلقية ما لم يرد نهي عن الشارع المقدس عن الوفاء به)^{٤٢}.

ثم ذكر ما ورد عن قتادة في معنى (بالعقود) في الآية الكريمة إذ قال: (في الدر المنثور عن قتادة ان معنى بالعقود: بالعهود وهي عقود الجاهلية، الحلف)^{٤٣}.

المبحث الثاني : المنهج الاشاري للتفسير

الإشارة في اللغة والاصطلاح:

والإشارة لغة: بمعنى العلامة والإيماء، والذي يعني اختيار أمر من الأمور من القول، أو العمل، أو الرأي^{٤٤}.

والإشارة في الاصطلاح: يطلق على الاشارات الخفية الموجودة في آيات القرآن، والتي تعتمد على العبور من ظواهر القرآن الى الأخذ بالباطن، اي استخراج وفهم، وتوضيح نكتة من الآية، لا توجد في ظواهر الآية الا عن طريق دلالة الإشارة^{٤٥}.

وعرفه خالد عبد الرحمن العك: تعني أن يستفاد شيء من الكلام دون أن يكون موضوعاً له^{٤٦}.

وبعبارة أخرى: الإشارة هي من الدلالة الإلتزامية للكلام. فالتفسير الإشاري يشير بغير ظاهره لإشارة خفية تظهر لأرباب السلوك، ويمكن الجمع بينها وبين الظاهر المراد أيضاً^{٤٧}.

والتفسير الإشاري هو تفسير يشير إلى التأملات التي تحصل عن طريق ما ينفث في ذهن المفسر العارف من الأمور اللطيفة التي لها ربط ومناسبة مع ظواهر الآيات القرآنية، غير أنه يفسر ويؤول على غير ظاهرها مع محاولة الجمع بين الظاهر والخفي^{٤٨}، ولقد جاء في الحديث (ما في القرآن آية إلا ولها ظهر وبطن)^{٤٩}، وكذلك ما روي عن الإمام الصادق (عليه السلام): (كتاب الله عز وجل على أربعة أشياء: على العبارة، والإشارة، واللطائف والحقائق، فالعبارة للعوام، والإشارة للخواص، واللطائف للأولياء، والحقائق للأنبياء)^{٥٠}.

ويقول السبحاني في كتابه المناهج التفسيرية في علوم القرآن (هناك منهج اصطلاحوا عليه بالتفسير الإشاري وهو نفس التفسير الصوفي، وهو ما يظهر من الآيات بمقتضى إشارات خفية تظهر لأرباب السلوك ويمكن التطبيق بينها وبين الظواهر المرادة)^{٥١}. ويعقب السبحاني بعد هذا بقوله (و القائل بالتفسير الإشاري لا ينكر كون الظاهر مراداً، ولكن يقول بأن في هذه الظواهر، إشارات إلى معان خفية تفهمه عدة من أرباب السلوك وأولو العقل والنهى، وبذلك يمتاز عن تفسير الباطنية فأنهم يرفضون كون الظواهر مرادة ويأخذون بالبواطن، هذا هو حاصل التفسير الإشاري)^{٥٢}.

والتفسير بهذا المعنى لا يخالف الشرع والعقل، بل هو محاولة عقلية ذكية من حيث التعمق في معاني الآيات، وما ينطبق منها على الأنفس والآفاق المرتبطة بالألفاظ

وسياق الأسلوب، حيث إن تمامية وكمال فهم القرآن يعتمد على التفسير الثلاثي للقرآن: أي (القرآن أو الكتاب التدويني، والكتاب الأفقي، والكتاب الانفسي)^{٥٣}. كما في قوله تعالى: (سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ) (فصلت/ ٥٣)، حيث إن عالم الإمكان بما رحب هو التفصيل لذلك القرآن.

والتفسير الإشاري يؤخذ به إذا كان هناك شاهد شرعي يؤيده وأن لا يكون له معارض شرعي أو عقلي، وأن لا يدعي أنه المراد وحده دون الظاهر. وقد اختلف العلماء في التفسير الإشاري، وتباينت فيه أراؤهم فمنهم من أجازه ومنهم من منعه، ومنهم من عده من كمال الإيمان ومحض العرفان، ومنهم من اعتبره زيغا وضلالا وانحرافا عن دين الله تبارك وتعالى وهم كالأتي:

رأى ابن الصلاح: ينقل ابن الصلاح عن الإمام أبي الحسن الواحدي المفسر أنه قال: (صنف أبو عبد الرحمن السلمي حقائق التفسير، فإن كان قد اعتقد أن هذا تفسير فقد كفر)^{٥٤} ثم يعقب على ذلك بقوله: وأنا أقول: الظن بمن يوثق به منهم أنه إذا قال شيء من أمثال ذلك أنه لم يذكره تفسيرا ولا ذهب به مذهب الشرح للكلمة المذكورة من القرآن العظيم، فإنه لو كان كذلك كانوا قد سلكوا مسلك الباطنية، وإنما ذلك ذكر منهم لنظير ما ورد به القرآن فإن النظير يذكر بالنظير، ومن ذلك قتال النفس في الآية المذكورة في قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ) (التوبة/ ١٢٣)، فكأنه قال: أمرنا بقتال النفس ومن يلينا من الكفار ومع ذلك فياليتهم لم يتساهلوا في مثل ذلك لما فيه من الإيهام والإلباس^{٥٥}.

في شرح العقائد النسفية وتحت قول النسفي: (النصوص على ظاهرها والعدول عنها إلى معان يدعيها أهل الباطن إلحاد)^{٥٦} علق سعد الدين التفتازاني بقوله: (سميت الملاحدة باطنية لادعائهم أن النصوص ليست على ظاهرها، بل لها معان باطنة لا يعرفها إلا المعلم وقصدهم في ذلك نفى الشريعة بالكلية، وأما ما يذهب إليه بعض المحققين بأن النصوص على ظاهرها، ومع ذلك فيها إشارات خفية إلى دقائق تكشف عن أرباب السلوك، يمكن التوفيق بينها وبين الظواهر المرادة، فهي من كمال الإيمان ومحض العرفان)^{٥٧}.

بينما يقول الذهبي: (أن الأدلة مجتمعة تعطينا أن القرآن الكريم له ظهر وبطن، ظهر يفهمه كل من يعرف اللسان العربي، وبطن يفهمه أصحاب الموهبة وأرباب البصائر، غير أن المعاني الباطنية للقرآن، لا تتقف عند الحد الذي تصل إليه مداركنا القاصرة بل هي أمر فوق ما نطن وأعظم مما نتصور)^{٥٨} لأن (للقرآن في افادة معانيه منهجا يخصه، لا هو في مرونة اساليب كلام العامة، ولا هو في صعوبة تعابير الخاصة، جمع بين السهولة والامتناع، وسطا بين المسلكين، سهلا في التعبير والاداء، بحيث يفهمه كل قريب وبعيد، ويستسيغه كل وضع ورفيع، وهو في نفس الوقت ممتنع في الافادة بمبانيه الشامخة، والأدلاء بمرامييه الشاسعة، ذلك انه جمع بين دلالة الظاهر وخفا الباطن، في ظاهر انيق و باطن عميق)^{٥٩}. فالباطن (لا يقف على جريانه على اللسان وحده بل لا بد فيه مع ذلك إلى نور يقذفه الله تعالى في قلب الإنسان، يصير به نافذ البصيرة سليم التفكير، ومعنى هذا أن التفسير الباطن ليس أمرا خارجا عن مدلول اللفظ القرآني)^{٦٠} ويعقب بعد ذلك: (أما الصوفية أهل الحقيقة وأصحاب الإشارة فقد اعترفوا بظاهر القرآن ولم يجحدوه كما اعترفوا بباطنه ولكنهم حين فسروا المعاني الباطنية خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا، فبينما

تجد لهم أفهاما مقبولة تجد لهم بجوارها أفهاما لا يمكن أن يقبلها العقل أو يرضى بها الشرع^{٦١}.

اشار السيد الطباطبائي في مقدمة تفسير الميزان الى منهج التفسير الصوفي، فقال (وأما المتصوفة فإنهم لاشتغالهم بالسير في باطن الخلقة واعتنائهم بشأن الآيات الأنفسية دون عالم الظواهر وآياته الأفقية، واقتصروا في بحثهم على التأويل ورفضوا التنزيل وتلفيق جمل شعرية، والاستلال من كل شيء على كل شيء)^{٦٢} بينما تكلم الشيخ جعفر السبحاني في هذا الصدد اذ قال (إن الباطنية وضعوا لتفسير المفاهيم الإسلامية ضابطة ما دل عليها من الشرع شيء وهو أن للقرآن ظاهرا وباطنا، والمراد منه باطنه دون ظاهره المعلوم من اللغة، ونسبة الباطن إلى الظاهر كنسبة اللب إلى القشر، وإن باطنه يؤدي إلى ترك العمل بظاهره)^{٦٣}. أما الدكتور محمد كمال جعفر فكان يرى: أنه يجب أن لا يغيب عن أذهاننا أنه من الطبيعي أن لا يقف الصوفي عند المعاني التقليدية في أي من القرآن أو السنة قولاً وعملاً، لأنه ليس كالفقيه أو العالم الذي يعتمد على النظر العقلي فحسب، لأن ذلك لا يشبع رغبته ولا يمد روحه بالزاد الضروري، بل إنه يتعمق إلى معان وراء المعنى الظاهر المباشر، وإن لم يكن من الضروري أن تكون هذه المعاني العميقة متناقضة مع تلك المعاني الظاهرية، ويشير الدكتور جعفر إلى نقطة هامة، وهي أن القرآن بالنسبة للصوفي يحمل حقيقتين متساويتين في الأهمية، فهو من جهة وحي تاريخي اتخذ وضعه في الزمان والمكان المحددين، وهو من جهة أخرى النبع الفيض الذي لا تنفذ حقائقه الإلهية الصادرة عن الله جل جلاله، وهو لا متناه لأنه كلام الموجود الذي لا يتناهى، والمعاني الباطنية لكلماته غير متناهية كذلك أيضاً^{٦٤}.

كما أن الصوفي المتأمل قد يصل إلى مرحلة يدرك فيها أعماق المعاني الروحية في القرآن، وهذه الفكرة في حد ذاتها بصرف النظر عن الاعتبارات الأخرى قد تثير

صعوبات، بحيث أنها تؤدي إلى أن يكون تفسير القرآن مختلفا باختلاف الذات المشتركة فيها أي أن يكون الموقف موقفا ذاتيا مما ينتج بدوره تفسيرات متعارضة ويؤدي إلى اضطراب كبير، ولكن الحقيقة أن الصوفية فعلا يرون أن تعدد التفسيرات أمر حتمي، لأن معاني القرآن لا نهائية وتتكشف لكل صوفي حسب طاقته الروحية وحسب فضل الله يؤتيه من يشاء، وليس في ذلك أي ضير ما دام هذا متصلا بالمعاني الكمالية التي لا تتجاوز حدود المعاني المباشرة المتفق عليها^{٦٥}.

أنواع الإشارات:

ذكر صاحب تفسير التحرير والتنوير أنواعا للإشارات ومجرى معانيها حيث قال: وعندي إن هذه الإشارات لا تعدو واحدا من ثلاثة أنحاء^{٦٦}:

الأول: ما كان يجري فيه معنى الآية مجرى التمثيل لحال شبيه بذلك المعنى كما يقولون مثلا (وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذَكَّرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَا أُولَٰئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ) (البقرة/ ١١٤) أنه إشارة للقلوب لأنها مواضع الخضوع لله تعالى إذ بها يعرف فتسجد له القلوب بفناء النفوس. ومنعها من ذكره هو الحيلولة بينها وبين المعارف اللدنية وسعى في خرابها بتكديرها بالتعصبات وغلبة الهوى...

الثاني: ما كان من نحو التفاؤل فقد يكون للكلمة معنى يسبق من صورتها إلى السمع هو غير معناها المراد وذلك من باب انصراف ذهن السامع إلى ما هو المهم عنده والذي يجول في خاطره وهذا كمن قال في قوله تعالى (مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ) (البقرة/ ٢٥٥) (من ذا الذي) إشارة للنفس يصير من المقربين للشفعاء فهذا يأخذ صدى موقع الكلام

في السمع ويتأوله على ما شغل به قلبه. ورأيت الشيخ محي الدين يسمي هذا النوع سماعاً ولقد أبدع.

الثالث: عبر ومواعظ وشأن أهل النفوس اليقظى أن ينتفعوا من كل شيء ويأخذوا الحكمة حيث وجدوها فما ظنك بهم إذا قرأوا القرآن وتدبروه فاتعظوا بمواعظه فإذا أخذوا من قوله تعالى: (فعصى فرعون الرسول فأخذناه أخذاً وبيلاً) (المزمل / ١٦) اقتبسوا أن القلب الذي لم يمثل رسول المعارف العليا تكون عاقبته وبالا... وكل إشارة خرجت عن حد هذه الثلاثة الأحوال إلى ما عداها فهي تقترب إلى قول الباطنية رويدا رويدا إلى أن تبلغ عين مقالاتهم.

الملاحظ على تفسير السيد السبزواري أنه اعتمد سمة المنهج الإشاري، فكان طابعاً مميّزاً عكس عرفانية السيد السبزواري؛ حيث أن البحث الإشاري العرفاني لديه كان متناسقاً مع بحوثه الأخرى من حيث الطرح والمنهج ففي تعقيبه على آيات الإنفاق يقول (قدس سره): (إن استغرق العبد في العبودية المحضة تلذذ من الجمال المطلق الأتم، واستشعار بالكمال الأرفع الأهم، فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون) (السجدة / ١٧)، وفي مثل هذه المرتبة تتحد الحقيقة والفعل والفاعل، وحينئذ يقصر القلم عن البيان، ويكل اللسان عن الكلام^{٦٧}. والعبودية الحقيقية هي التي تظهر آثارها على العبد، فلا تصدر عن معصية ولا يخطر في باله غير رضا الرب، وفيها قال علي (عليه السلام): (اعبد الله كأنك تراه، فإن لم تراه فإنه يراك، واحذر أن يراك حيث نهاك)^{٦٨}، وأنها إذا استولت على القلب فلا يشغله شاغل من الشواغل المادية الدنيوية، ولا يمنعه مانع من الإنفاق في سبيل الله تعالى^{٦٩}.

وفي تعقيبه على آية (لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم) (البقرة ٢٥٦)، يقول السيد السبزواري: (ولكلام الحق تعالى جذبات وللقرآن كذلك، وللموعظة الصادرة عن أهلها جذبات بمراتبها المختلفة، التي لا حد لها، ومع تحقق تلك الجذبة كيف يتصور الإكراه) ٧٠.

وفي تعليقه على آية البر في قوله تعالى: (لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون وما تنفقوا من شيء فإن الله به عليم) (آل عمران / ٩٢) يقول (قدس سره): (من أفضل البر وأهمه هو الانقياد لأوامر الله تعالى وإطاعته في كل ما شاء وأراد، والتفاني في مرضاته (عز وجل) الذي هو آخر حد الإمكان وأول حد الوجوب، كما أن أعلى المحبوبات عند الناس هو حب الجاه والشرف والعزة، ولا بد من إنفاق هذا المحبوب في ساحته (جل جلاله) لينال العبد الغاية القصوى من البر بالمعنى المطلق، وعليه سيرة أولياء الله المخلصين) ٧١.

لقد أراد مفسرنا الجليل ومن خلال هذا المقطع أن يشير إلى أن إطاعة العبد لأوامر مولاه فيها صلاح للنفس والمجتمع وبعبكسه يحصل الفساد والإفساد ٧٢ (ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها وادعوه خوفاً وطمعاً إن رحمت الله قريب من المحسنين) (آل عمران / ٥٦).

ومن هذه الطاعات هو البر الذي هو مطلق الطاعة، فكل ما يدخل في طاعة الله ويمكن أن يكون عنواناً لها فهو يعد براً، كما أشار السيد السبزواري إلى أن تمامية الطاعة لله تعالى بكل أنواع البر لا بد أن يصل العبد فيها إلى درجة التفاني في مرضاة مولاه، والذي عبر عنه بأنه آخر حد الإمكان وأول حد الوجوب، حيث فرض سبحانه وتعالى الطاعة على الإنسان في الميثاق وهو أول عوالمه وأراد منه السعي لنيل

مرضاته فخلق فيه الإمكان، بمعنى أنه مكّنه لتحصيل رضاه سبحانه عن طريق الطاعة^{٧٣}، قال تعالى: (ولقد مكّناكم في الأرض وجعلنا لكم فيها معاش قليلاً ما تشكرون) (الأعراف/ ١٠)، فكان الغاية من التمكين هي رضاه ولا غاية لعقل سواها قال تعالى: (ولقد مكّناهم فيما إن مكّناكم فيه) (الأحقاف/ ٢٦).

فكان عليه أن يتدرج في مرضاته حتى يصل إلى حد الفناء في الله وهو أقصى حدود الإنسان، فإن لكل مخلوق من خلق الله حد يحده لا يمكن تجاوزه مطلقاً، هذا من جهة حد الإمكان، أما من جهة حد الوجوب فإن المنوط بالإنسان هو الفناء وما كان قبله يعد مقدمة له فالتدرج في الكمالات في حد نفسه ليس واجباً؛ لأنه ليس هو الغاية بل الغاية هي الوصول إلى تمام الكمال وهو الفناء في الذات الإلهية المقدسة^{٧٤}. وبعد بيان أن أعلى المحبوبات عند الناس إنما تنحصر بحب الجاه والشرف والعزة أراد وبيان أنه من الواجب على العبد من إنفاق هذا المحبوب في مرضاة الحق (جلّ جلاله)، إذ لا إشكال في أن ما ذكر من حب الجاه والشرف والعزة يعد من الأمور الوهمية في هذه الدنيا الموهمة، فلا بد من إنفاق القدرات في طريق الآخرة^{٧٥}.

وأجمل بالإنسان أن ينفق أجمل وأنفس ما عنده! وفي الواقع لم يكن ذلك إنفاقاً وإنما ادخار، فإن الدنيا مزرعة الآخرة، قال تعالى: (وما تنفقوا من خير يُوفَ إليكم وأنتم لا تظلمون) (البقرة/ ٢٧٢).

كما أن السيد السبزواري تكلم عن مقام الشهداء والمجاهدين في سبيل الله، وذلك من خلال تعليقه على قوله تعالى: (ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون) سلطان فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون) (آل عمران/ ١٦٩ - ١٧٠).

حيث يقول السيد السبزواري معقبا على هذه الآية: (يستفاد من قوله تعالى: (ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله) كمال العناية بالشهداء الذين قتلوا في سبيل الله، فقد أرادوا من جهادهم وبذل أرواحهم الغالية في إعلاء كلمة الله وإحياء الحق وإماتة الباطل، فأعطاهم الله تعالى الأجر الجزيل، والثناء الجميل والذكر الحميد، ومنحهم السعادة الكبيرة أن جعلهم عنده يرزقون ويستبشرون ويفرحون، قد خلت حياتهم عن كل ما ينغصصها من الخوف والحزن والآلام) ٧٦.

ثم أن مفسرنا الجليل بعد أن بين مقام الشهداء وما منحهم إياه الحق سبحانه وتعالى من الأجر والثواب والدرجة العالية والمنزلة الرفيعة، أراد الانتقال من الكلام حول الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر. وهو جهاد النفس. فقال: فإذا كان الجهاد الأصغر له هذه الحظوة عند خالق الأرواح، فما ظنك بالجهاد الأكبر مع النفس الأمارة لكسر سورتها، وقمع الهوى بالصبر والاصطبار، وكان العبد معه مطيعا لمولاه مخالفا لهواه مراقبا لنفسه وأعماله وأقواله فإن له الفضل العظيم والمنزلة الكبرى عند الله (عز وجل)، قال تعالى: (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين) (العنكبوت/ ٦٩)، والجهاد الأصغر وإن كان في وقت معلوم، أما الجهاد الأكبر فإن مدته أطول ومعاناته أشد وأعظم ٧٧.

هنا أراد (قدس سره) بيان أن السبيل الوحيد لكسر الأصنام الجاثمة على قلب الإنسان إنما يكون بجهاد النفس، حتى يهوي الشرك والكفر تحت أقدام المؤمنين (أفرايت من اتخذ إلهه هواه) (الجاثية/ ٢٣).

وفي تعقيبه على مقطع تقطيع الطيور بالنسبة إلى رسمه لشخصية إبراهيم (عليه السلام) يقول: (فشرقت على قلبه الأنوار القدسية، فاتخذ الله خليلا وجعل الحبيب من نسله، فصار الخليل يفتخر بالحبيب والحبيب يفتخر بالخليل، لما بينهما من

الجامع القريب، من شروق النور الأزلي على قلبيهما والوصول إلى مقام الوصال، والينبوع الذي لا يعقل فيه النفاذ، وبمدبر حكيم لا يتصور فيه التغير والفساد، وصدر منه العجائب والغرائب؛ لأنه مستمد من مدد الغيب الذي لا حد له، فيكون إحياء الموتى على يديه أيسر شيء^{٧٨}.

الخاتمة

بعد هذا الطرح لموضوع المنهج الاشاري عند السيد السبزواري وما تتطلب من تصفح لمختلف المصادر والمراجع المتنوعة بين علوم القرآن وتفسيره وبين كتب اللغة وغيرها تمكن الباحث من التوصل إلى النتائج الآتية:

١- الملاحظ على تفسير مواهب الرحمن من خلال الاطلاع المكثف أن السيد السبزواري قد امتاز بالعرض الحسن للمطالب، والموضوعات، والأسلوب الممتع، والعبارة الجزلة، واحترز فيه المفسر عن ذكر العبارات المغلقة والألفاظ الصعبة، أو التفصيل الزائد عن الحد، وحاول أن يبين المعنى بأسهل الألفاظ، والكلمات.

٢- تبين من خلال من خلال البحث ان منهج تفسير القرآن بالقرآن كان مقدما وله أهمية كبيرة عند السيد السبزواري .

٣- تبين أن منهج السيد السبزواري في التفسير اعتمد على القرآن الكريم في استنطاق الآيات والوصول الى معانيها من خلال آيات قرآنية أخرى .

٤- استعان السيد السبزواري بالسنة النبوية الشريفة وهو ما سمي بالمنهج الروائي في تأييد ودعم النتائج القرآنية التي تترجح له في اثناء التفسير.

٥- التفسير الاشاري وهو تفسير يشير إلى التأملات التي تحصل عن طريق ما يفتح في ذهن المفسر العارف من الأمور اللطيفة التي لها ربط ومناسبة مع ظواهر الآيات

القرآنية، غير أنه يفسّر ويؤول على غير ظاهرها مع محاولة الجمع بين الظاهر والخفي وهذا المنهج هو ما اشتهر به السيد السبزواري وما طغى عليه تفسيره. الهوامش:

- (١) ينظر: ضياء عدنان الخباز القطيفي، العارف ذو الثقات: ٢٩، ينظر: عبد الستار الحسني، وألطف الباري من نفحات الإمام السبزواري: ١٥.
- (٢) الكنى والقاب، مصدر سابق: ١١٤/٢ - ١١٥.
- (٣) الطاف الباري، مصدر سابق: ١٩.
- (٤) ينظر: محمد هادي الأميني، معجم رجال الفكر والأدب في النجف خلال ألف عام: ٦٦٥/٢، وينظر: العارف ذو الثقات، مصدر سابق: ٣٠.
- (٥) ينظر: ألطف الباري، مصدر سابق: ٢٤.
- (٦) المصدر نفسه: ٢٤.
- (٧) ينظر: العارف ذو الثقات: ١٣٧ - ١٤٠، وجمال السالكين: ٢٣ - ٢٥، ومعجم رجال الفكر والأدب في النجف: ٦٦٥/٢.
- (٨) ينظر: فضيلة على فرهود، منهج السبزواري في تفسير القرآن: ٨.
- (٩) ينظر: صفحات مشرقة: ٣٥.
- (١٠) ينظر: الطاف الباري: ١٥٧.
- (١١) الزركشي، البرهان: ١٧٥/٢. وينظر: السيوطي، الاتقان: ١٧٥/٢.
- (١٢) صبحي الصالح، مباحث في علوم القرآن: ٢٩٩.
- (١٣) التفسير والمفسرون، مصدر سابق: ٣٧/١.
- (١٤) عبد الحمين ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون: ٤٣٨/١.
- (١٥) ينظر: التفسير والمفسرون، مصدر سابق: ٣٣/١.
- (١٦) المبادئ العامة في تفسير القرآن الكريم بين النظرية والتطبيق، مصدر سابق: ٨٣.
- (١٧) البخاري، صحيح البخاري: ١٩٣/٥.
- (١٨) التفسير والمفسرون، مصدر سابق: ١٤/١.

- (١٩) ينظر: التبيان، مصدر سابق: ٢٥٥/١. وينظر: مجمع البيان في تفسير القرآن، مصدر سابق: ١٠٥/١. وينظر: الميزان في تفسير القرآن، مصدر سابق: ١١٦/١.
- (٢٠) السبزواري، مواهب الرحمن: ٤١٠/٤.
- (٢١) المصدر نفسه: ٤٠٣/٤.
- (٢٢) ينظر: الميزان في تفسير القرآن، مصدر سابق: ٤٣٠/٣.
- (٢٣) ينظر: مواهب الرحمن، مصدر سابق: ٤١٨/٤.
- (٢٤) مواهب الرحمن، مصدر سابق: ١٥/١٠.
- (٢٥) مواهب الرحمن، مصدر سابق: ٢٤٨/٨.
- (٢٦) ينظر: مرتضى الانصاري، فرائد الأصول: ٣٦٥/١. وينظر: محمد رضا المظفر، أصول الفقه: ٢/٥٧.
- (٢٧) صبحي الصالح، علوم الحديث ومصطلحه: ١٤١.
- (٢٨) التفسير والمفسرون، مصدر سابق: ١٥٦/١. وينظر: محمد هادي معرفة، التفسير والمفسرون: ٢٩/٢.
- (٢٩) التفسير والمفسرون، مصدر سابق: ١٥٧/١.
- (٣٠) محمد تقي الحكيم، الأصول العامة للفقه المقارن: ١٣٧.
- (٣١) ينظر: مواهب الرحمن، مصدر سابق: ١٣٧.
- (٣٢) ينظر: المصدر نفسه: ٤٣٩/١.
- (٣٣) مواهب الرحمن، مصدر سابق: ٤٤٤/١. وينظر: مجمع البيان في تفسير القرآن، مصدر سابق: ٣٥٥/١.
- (٣٤) المصدر نفسه: ٤٤٤/١.
- (٣٥) ابن شعبة الحراني، تحف العقول: ٤٣. ينظر: السيوطي، الجامع الصغير: ٣/٢. ينظر: المتقي الهندي، كنز العمال: ٤٠٧/٣.
- (٣٦) المصدر نفسه: ٤٨. ينظر: المصدر نفسه: ٢٥٩/١.
- (٣٧) ينظر: مواهب الرحمن، مصدر سابق: ٣١٣/١. وينظر: الصحاح، مصدر سابق: ٤٨/١.
- (٣٨) المصدر نفسه: ٣١٣/١.

- (٣٩) المصدر نفسه: ١٣/٢.
- (٤٠) نهج البلاغة، مصدر سابق: ٤١/٤. وينظر: القزويني، سنن ابن ماجه: ٢/٩٥٢. وينظر: الصدوق، من لا يحضره الفقيه: ٢/٦٢١.
- (٤١) مواهب الرحمن، مصدر سابق: ١٦/٣. الطوسي، الاستبصار: ١٠٣/٢. الحر العاملي، وسائل الشيعة: ١٢٧/٧.
- (٤٢) السبزواري، مواهب الرحمن: ١٠/٢٥١. ينظر: مفردات الفاظ القرآن، مصدر سابق: ٥١٠. وينظر: لسان العرب، مصدر سابق: ٣/٢٩٧.
- (٤٣) الصنعاني، تفسير القرآن: ١/١٨١. وينظر: السيوطي، الدر المنثور: ٢/٢٥٣.
- (٤٤) لسان العرب، مصدر سابق: ٤/٤٣٤.
- (٤٥) دروس في الاتجاهات والمناهج التفسيرية للقرآن، مصدر سابق: ٢٥٩. مناهل العرفان، مصدر سابق: ١/٤٩٧.
- (٤٦) خالد عبد الرحمن العك، أصول التفسير وقواعده: ٢٠٥-٢٠٦.
- (٤٧) ينظر: المصدر نفسه: ٢٠٥-٢٠٦.
- (٤٨) محمد رشيد رضا ومحمد عبده، تفسير المنار: ١/١٨.
- (٤٩) الكافي، مصدر سابق: ج ١ ص ٣٧٤، كتاب الحجّة.
- (٥٠) محمد بن محمد السبزواري، جامع الأخبار ٤٦-٤٨.
- (٥١) المناهج التفسيرية في علوم القرآن، مصدر سابق: ١/١٣٠.
- (٥٢) المصدر نفسه: ١/١٣٠.
- (٥٣) ابو عبد الرحمن اليزدي، تفسير القرآن الكريم على الطريقة الصوفية: ٢٢.
- (٥٤) الشاطبي، الموافقات في اصول الشريعة: ٣/٢٧٢.
- (٥٥) المصدر نفسه: ٣/٢٧٢.
- (٥٦) سعد الدين التفتازاني، العقائد النسفية وشرحها: ١٤٣.
- (٥٧) المصدر نفسه: ١٤٣.
- (٥٨) التفسير والمفسرون، مصدر سابق: ٣/٢٢.
- (٥٩) محمد هادي معرفة، التفسير والمفسرون: ١٤/٥.

(٦٠) التفسير والمفسرون، مصدر سابق: ٢٢ / ٣.

(٦١) المصدر نفسه: ٢٢ / ٣.

(٦٢) الميزان في تفسير القرآن، مصدر سابق: ٧ / ١.

(٦٣) المناهج التفسيرية في علوم القرآن، مصدر سابق: ١١٨ / ١.

(٦٤) محمد كمال جعفر، التصوف طريقا وتجربة ومذهبا: ١٥٧.

(٦٥) سهل بن عبد الله التستري، من التراث الصوفي: ١٠٩.

(٦٦) ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير: ١٦ / ١.

(٦٧) مواهب الرحمن، مصدر سابق: ٣٠٨ / ٤.

(٦٨) المصدر نفسه: ٣٠٨ / ٤.

(٦٩) المصدر نفسه: ٣٠٨ / ٤.

(٧٠) المصدر نفسه: ٣٠٨ / ٤.

(٧١) مواهب الرحمن، مصدر سابق: ١٥٥ / ٦.

(٧٢) المصدر نفسه: ١٥٥ / ٦.

(٧٣) المصدر نفسه: ١٥٥ / ٦.

(٧٤) مواهب الرحمن، مصدر سابق: ١٥٥ / ٦.

(٧٥) المصدر نفسه: ١٥٥ / ٦.

(٧٦) مواهب الرحمن، مصدر سابق: ٨٤ / ٧.

(٧٧) المصدر نفسه: ٨٤ - ٨٥ / ٧.

(٧٨) مواهب الرحمن، مصدر سابق: ٣٥٢ / ٤.

المصادر والمراجع

١- اسماعيل بن حماد الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد

عبد الغفور عطار، بيروت، الطبعة الرابعة، دار العلم للملايين، ١٤٠٧ هـ.

- ٢- بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي ، البرهان في علوم القرآن - تحقيق - محمد أبو الفضل إبراهيم - شركة عيسى البابي الحلبي وشركاؤه - القاهرة - ط ١ - ١٣٧٦هـ - ١٩٥٧م.
- ٣- جعفر السبحاني، المناهج التفسيرية في علوم القرآن ، مؤسسة الإمام الصادق (ع)، قم، ط ٢، ١٤٢٢هـ .
- ٤- جلال الدين السيوطي ، الإقتان في علوم القرآن ، تحقيق - محمد سالم هاشم - دار الكتب العلمية - لبنان - بيروت - ٢٠٠٣م.
- ٥- جلال الدين عبد الرحمن السيوطي ، الدر المنثور في التفسير بالمأثور، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م .
- ٦- جمال الدين بن مكرم ابن منظور ، لسان العرب - دار صادر - لبنان - بيروت - ١٩٥٦م.
- ٧- ابن ابي الحديد : عبد الحميد بن هبة الله بن محمد ، شرح نهج البلاغة ، تحقيق : محمد أبو الفضل ، الطبعة الثانية ، دار احياء الكتب العربي ، البابي الحلبي ، ١٩٦٢م.
- ٨- حسين نجيب محمد ، جمال السالكين ، دار المحجة البيضاء للطباعة والنشر والتوزيع ، ٢٠٠٢م.
- ٩- خالد عبد الرحمن العك ، اصول التفسير وقواعده ، الطبعة الثانية ، دار النفائس ، ١٤٠٦هـ .
- ١٠- الشاطبي ، الموافقات في اصول الشريعة ، مصر ، المطبعة التجارية ، (دون تاريخ) .

- ١١- صبحي الصالح ، علوم الحديث ومصطلحه ، بيروت ، الطبعة السابعة ، دار العلم للملايين ، ١٩٧٣ م .
- ١٢- صبحي الصالح ، مباحث في علوم القرآن ، بيروت ، دار العلم للملايين ، ١٩٦٥ م .
- ١٣- ضياء عدنان الخباز القطيفي ، العارف ذو الثغفات ، مكتبة فذك - دار باقيات ، الطبعة الثانية ، ١٤٣١ هـ .
- ١٤- ضياء عدنان القطيفي ، صفحات مشرقة من حياة الامام السبزواري ، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م .
- ١٥- عباس بن محمد رضا القمي ، الكنى والألقاب ، طهران ، الطبعة الخامسة ، مكتبة الصدر ، ١٣٦٨ هـ .
- ١٦- عبد الستار الحسني ، ألطاف الباري من نفحات الإمام السبزواري ، الطبعة الاولى ، مطبعة الكوثر ، ١٤٢٥ هـ .
- ١٧- فضيلة علي فرهود ، ومنهج السبزواري في تفسير القرآن رسالة ماجستير - كلية الفقه - جامعة الكوفة - ٢٠٠٦ م .
- ١٨- مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي ، القاموس المحيط ، (دون تاريخ) .
- ١٩- محمد الطاهر ابن عاشور ، التحرير والتنوير ، بيروت - لبنان ، الطبعة الأولى ، مؤسسة التاريخ ، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م .
- ٢٠- محمد بن اسماعيل الجعفي البخاري ، صحيح البخاري ، بيروت ، منشورات دار الفكر ، ١٤٠١ هـ .

- ٢١- محمد بن علي بن الحسين الصدوق ، من لا يحضره الفقيه ، قم ، مؤسسة النشر الاسلامي التابعة لجماعة المدرسين ، (دون تاريخ) .
- ٢٢- محمد بن مسعود السمرقندي العياشي ، تفسير العياشي ، تحقيق هاشم الرسولي المحلاتي ، طهران ، منشورات المكتبة العلمية الاسلامية ، (دون تاريخ) .
- ٢٣- محمد بن يعقوب بن اسحاق الكليني ، الكافي ، تحقيق علي أكبر غفاري ، طهران ، الطبعة الأولى ، دار الكتب الاسلامية ، (دون تاريخ) .
- ٢٤- محمد تقي الحكيم ، الأصول العامة للفقه المقارن ، بيروت ، الطبعة الرابعة ، المؤسسة الدولية للدراسات والنشر ، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م .
- ٢٥- محمد حسين الذهبي ، التفسير والمفسرون ، القاهرة ، مكتبة وهبة ، (دون تاريخ)
- ٢٦- محمد حسين الصغير ، المبادئ العامة لتفسير القرآن الكريم ، الطبعة الثانية ، مكتب الاعلام الاسلامي ، ١٤١٣ هـ .
- ٢٧- محمد حسين الطباطبائي ، الميزان في تفسير القرآن ، بيروت - لبنان ، الطبعة الأولى ، منشورات مؤسسة الأعلى للمطبوعات ، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م .
- ٢٨- محمد رضا المظفر ، أصول الفقه ، قم ، الطبعة الرابعة ، الحوزة العلمية ، مركز انتشارات دفتر تبليغات اسلامي ، ١٣٨٨ هـ .
- ٢٩- محمد عبد العظيم الزرقاني ، مناهل العرفان في علوم القرآن ، لبنان - بيروت ، الطبعة الثالثة ، دار أحياء التراث العربي ، (دون تاريخ) .
- ٣٠- محمد علي الرضائي الاصفهاني ، دروس في المناهج والاتجاهات التفسيرية للقرآن ، تعريب قاسم البيضاني ، ايران - قم ، مركز المصطفى العالمي ، (دون تاريخ) .

٣١- محمد هادي الأميني ، معجم رجال الفكر والأدب في النجف خلال ألف عام ، ١٩٦٤ م.

٣٢- محمد هادي معرفة ، التفسير والمفسرون في ثوبه القشيب ، الطبعة الثانية ، ١٤٢٥ هـ.

Abstract

The interpretation of the reference is an interpretation that refers to the reflections that are obtained through what opens in the mind of the interpreter knows of the nice things that have a link and appropriate with the phenomena of the Koranic verses, but it is interpreted and is based on the apparent with the attempt to combine the apparent and hidden, "The Book of God Almighty on four things: on the phrase, the reference, the tafs and the facts, the phrase for the commoners, the reference to the attributes, and the tafs of the parents, and the facts of the prophets.

We note many scholars who referred to this approach, including Sobhani in his book The Interpretive Approaches in the Sciences of the Qur'an, where he said: "There is a method that was put forward by the interpretation of the reference, which is the same mystical interpretation. This is what appears from the verses according to hidden signs that show the leaders of behavior and can be applied between them

After this, Sobhani follows that by saying (and the interpretation of the reference does not deny the fact that the apparent contradiction, but says that in these phenomena, references to hidden meanings understood by many of the leaders of the behavior .

This is in addition to the other major approaches that have emerged on the interpretation of Rahman's talents.